

فدك في التاريخ

[183] وانطماس معالم الدين إذا كان الناس مستحقين للألطف الألهية. وإذا لم يكونوا جديرين بها فمن الممكن انقطاع الاتصال بين السماء والأرض سواء أكان بنو العمومة صالحين أو لا، وسواء من الله عليه بذرية أو بقي عقيما. والاية الكريمة تدل على أن الباعث إلى الخوف في نفس زكريا إنما هو فساد الموالى لا فساد الناس. (الثانية) عن طريق تفسير الموالى بالامراء، بمعنى أن زكريا خاف أن يلي بعد موته امراء ورؤساء يفسدون شيئا من الدين، فطلب من الله ولدا ينعم عليه بالنبوة والعلم ليبقى الدين محفوظا (1). ولنا أن نتساءل عما إذا كان هؤلاء الرؤساء الذين اشفق على الدين منهم، هم الأنبياء الذين خلفونه أو أنهم أصحاب السلطان الزمني والحكم المنفصل عن السماء؟ ولا خوف منهم على التقدير الأول إطلاقا لأنهم أنبياء معصومون. وأما إذا كانوا ملوكا فقد يخشى منهم على الدين. ولكن ينبغي أن نلاحظ أن وجود النبي حينئذ هل يمنعهم عن التلاعب في الشريعة والاستخفاف بالدستور الألهي أو لا؟ فإن كان كافيا لوقاية الشريعة وصون كرامتها فلماذا خاف زكريا من أولئك الامراء ما دامت الألطف الألهية قد ضمنت للنبوة الامتداد في تاريخ الإنسانية الواعية وخلود الاتصال بين الأرض والسماء ما بقيت الأرض أهلا للتثقيف السماوي؟ وإن لم يكن وجود النبي كافيا للحراسة المطلوبة فلا يرتفع الخوف من الحاكمين بوجود ولد لزكريا يرث عنه النبوة ما دام النبي قاصرا عن مقاومة القوة الحاكمة، وما دام الامراء من الطراز المغشوش، مع أن الاية تدل على أن زكريا كان _____ (1) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 16: 257 - 258.